المصدر: الاهـــــرام
التاريخ : ١٩٨٢/١٠/٦

عانقته مصر المنتصرة

اول أمس كنت فى دار القضاء بباب الخلق .. وانا اعبر الردهة اخذت عينى لافتة فى إحدى قاعات الجنايات كتب عليها « قاعة انور السادات »

عادت بى الذاكرة الى السنين الخالية .. اختلست نظرة الى قفص الاتهام وقضبانه .. هنا وقف الشاب انور السادات المفتون بوطنه الى حد الهوس .. لم أره فى ساعات الشدة تلك ، ولكنى اتصور انه كان يحمل روحه على كفه ، حملها واقفا امام القضاء .. وقضى الله ان يخرج الى الحرية ويعيش ، وكانه سبحانه كتب له فى اللوح المحفوظ ان مصر ستحتاجه فى ساعات المحنة ، وكانه اصطفاه ليمحو عن جبينها عار ١٩٦٧ ، واحب له ان تعانقه مصر وهى منتصرة .

الزمن الغبى الذى يعدم فيه الأبطال بلا محاكمة ، ويعتدى فيه على حق الخالق ، وهبنا الحياة وهو صاحب الهبة ، واجرى الدم فى عروقنا ولم يأذن لنا ان نسفكه .

الزمن الغبى هو الذى دبر هذه المرة أن يموت القائد بين أحضان جيشه فى يوم العيد الكبير .. عيد السادس من اكتوبر ، محروما هذه المرة من الدفاع عن نفسه ، جلادوه هم قضاته .

لم يبق امور السادات معصوما من الخطأ ولم يزعم انه معصوم وتم يستكبر على الاعتراف بالخطأ بعدها شارك فيه وكأنه يعلن انه بشر يشم احرق امراء النفاق بخور المديح بين يديه وللمديح دخان يحجب الرؤية

حشد حملة المباخر والصاقم أين ذهبوا . وكيف ثقلت الألسنة وفقدت النطق . بعد ان كان يشويها الحماس فتتمجر بالهتاف وترفض أن تهدأ .

ما أقل المحامين الذين يطالبون الآن ببراءة السجين وراء قضبان الموت بقدر ما نحترم الرجال الذين عارضوه في حياته .. بقدر ما نرثي للشجعان الذين استأسدوا بعد ان صار لا يملك لهم نفعا ولا ضرا . عندما انتصر انور السادات في اكتوبر كان الرأى انه انتصر بجنوده اقتحم الهول واخضع المستحيل . وحرر مصر بأبناء مصر لا جيش بلا قائد ولا قائد بلا جيش

ولكن هذا المنطق الحق يتوارى ويختفي في الزمن الغبي تدير ظهرنا له على انور السادات ان يحمل وحده اخطاء الانفتاح . والفساد والرشوة . والعطب في الاقتصاد . والخلل في المجتمع عليه وحده وزرها كله هو فيها القائد والجيش كأن مصر قد خلت من الرجال وهجرتها العقول والحكماء كأنما شعب من الخشب المسندة من فمنع التشفرنج ما أقدرنا على ان نسيء انفسنا

فعلنا هذا بجبن عند الخطر من قبل تغلبنا بأخطائه أصدر الزمن الغبي قرارا بأن يتفرد جبان عند الخطر باتهام جميع البشر لا يهم انه فاجأه يوم ٦ أكتوبر فجأة بعد ان تفرد الخلاص من الأمراض بحجة انه أكره الاستعمار على أن يحصن نفسه

ويرحل تسببا تأميم القناة الامجد كان يمكن ان تحدث بدونه . أو بسواه اما الأخطاء فعليه ان يحتكرها غير منازع .. نحن قوم ننسى الحسنات وندفنها ببراعة . ونستدعي السيئات ونستجلها .

ننسى السادس من اكتوبر . ننسى تحرير سيناء .. ننسى الكتابات العبرية فوق جدران البيوت في السويس . ننسى بذاءة جنود العدو وهم يتطاولون على مصر من فوق خط بارليف . ننسى ان القناة كانت بركة متعفنة أمسى رائحة الدب الروسي . ننسى اننا في عهد انور السادات استفسنا لأطفال بحر البقر . وان عدوا لم يعد في وسعه أن يتطاول ويعربد .

ننسى نار الفتنة التي اندلعت في مصر من اقصاها الى اقصاها واعيته الحيلة وهو يحاول ان يطفئها . فر الزمن الغبي ان الفتنة من صنعه . جسده الهامد الممزق مسئول عن بشاعة ما حدث في اسيوط وهو رهين الموت كان عليه أن ينهض من قبره ويصفق لمن استباحوا حياة حفاظ الأمن هناك وعدوا بمواطنيهم وطعنوا مصر في قلبها في سمعتها

علما ان سبحانه ان كتاب عدله يحصي الحسنات والسيئات ويوازن بينها في حسابه متى نكف عن سرقة صفحات الحسنات من تاريخ حياة رجالنا ونتذكر أن انتزاع أوسمة النصر من صدوره نشر بأقذر في الصغر

تسبة له في ذكراه ذكرة بجلاء من سحر التوبة للرجل الذي غامر في ٦ أكتوبر المجد .. والموت .

يوسف جوهر